Universal Journal of Theology
E-ISSN: 2548-0952
Volume III, Issue I, 1-15
http://dergipark.gov.tr/ujte

HZ. PEYGAMBER'İN NÜBÜVVET ÖNCESİ HAYATININ DELİL OLUŞU (İSLAM HUKUKUNDA)

THE AUTHORITY OF WHAT WAS NARRATED FROM THE PROPHET BEFORE THE MISSION (IN THE ISLAMIC SHARIA)

Yahya Maabdeh
Ağrı İbrahim Çeçen Üniversitesi
İslami İlimler Fakültesi
Temel İslam Bilimleri
Ağrı-Türkiye
dr.yzasm@gmail.com

Atıf gösterme: Maabdeh, Y. (2018). Hz. Peygamber'in Nübüvvet Öncesi Hayatının Delil Oluşu (İslam Hukukunda), *Universal Journal of Theology* 3 (1), 1-15.

Geliş Tarihi:
27 Ocak 2018
Değerlendirme Tarihi:
28 Ocak 2018
Kabul Tarihi:
25 Mart 2018

© 2018 UJTE
E-ISSN: 2548-0952
Tüm hakları saklıdır.

Öz: Kur'an-ı Kerîm ve nebevi sünnet, Nebî (s.a.s.)'in peygamberliğinden önceki hayatına işaret eder. Hz. Peygamber'in bi'setten (peygamberlikten) önceki hayatı, islami araştırmalarda özellikle de Hz. Peygamber'in sireti alanında önemli bir yere sahiptir. Bu araştırma, Hz. Peygamber'in bi'setten önceki yaşantısının hüküm cıkarmada delil olarak kullanılmasını, bu hükümlerin kaynağını, önemini, kurallarını ve yöntemlerini incelemektedir. Aynı zamanda Hz. Peygamber'in bi'setten önceki yaşantısının delil olarak kullanılmasını, önemini ve kullanım alanlarını ortaya koymaktadır.

Anahtar Kelimeler: *Nebî, Muhammed (s. a. s.), bi'setten önce, hücciyyet, ölçütler, sünnet, siret.*

Abstract: The Holy Quran and The Prophetic Sunnah refer to the prophet's life before his mission began, and these narrations, which talked about the pre-mission phase, got an important space in the Islamic studies especially in the Biography of the Prophet's field. This paper studies the authority, rooting in Sharia law, importance and standards of inference from the prophet's life before his mission. This paper concludes to the authority of inference from the prophet's life before the mission, the importance of this inference from the pre-mission in the Islamic studies and its standards.

Keywords: *the prophet, pre-mission, authority, Sunnah, biography.*

مدخل:

لما كان الوحي الوارد في القرآن أو السنة مصدرا تشريعيا فقد اعتنت الدراسات الاسلامية بهما في كل النواحي، وإذا كانت حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** أسوة حسنة للمؤمنين فإن حياته قبل البعثة جزء لا يتجزأ من هذه القدوة، وإذا أخذ بعين الاعتبار أن مرحلة ما قبل البعثة النبوية كانت مرحلة إعداد وتأهيل، فإن مشكلة البحث تكمن في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

ما هي حجية حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة؟

ما هي أهمية دراسة حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة؟

ما هي ضوابط الاحتجاج بحياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة؟

الدراسات السابقة:

تزخر الدراسات الإسلامية بالحديث عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة قديما وحديثا بعناوين ومسميات كثيرة، باعتبار أن فهم تاريخ ما قبل النبوة ودراسة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة مهمة في مجالات متنوعة، وفي العصر الحديث تميزت هذه الدراسات بالإشارة بوضوح إلى مسمى "حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة".

وقد تناولت هذه المؤلفات الحديث عن السيرة النبوية قبل البعثة بعناوين بارزة وواضحة سواء كانت في اسم الكتاب[1]، أو في عناوين فرعية في هذه الدراسات[2]، وأحيانا كانت تدرس منهجية التحقق من المرويات بشكل عام[3] أو الروايات الواردة قبل البعثة بشكل خاص[4]، أو دراستها في ضوء القرآن[5]، أو في ضوء العلوم الاجتماعية وغيرها[6].

وللباحث بحث غير منشور بعنوان:" الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودرورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة"[7]، تناول أهمية الشخصية النبوية قبل البعثة في مجال بناء الشخصية الإسلامية، بينما تناول في بحث آخر وجوه الرعاية والإعداد الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودورهما في بناء الشخصية النبوية وأثر ذلك في نجاح الدعوة الإسلامية[8].

أما فيما يتعلق بحجية ما ورد عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة، فقد تناول الأصوليون الاستدلال على حجية ما ورد عن النبي **صلى الله عليه وسلم** "قولا وفعلا وتقريرا" بشكل موسع في كتب الأصول في مواضع كثيرة[9]، والمقصود ما ورد عن النبي **صلى الله عليه وسلم** بصفته مكلفا أو مبلغا، ولكن لم يصرح أحد بأن هذا الاستدلال يشمل ما كان قبل البعثة، ولذلك فإن البحث يسعى إلى الاستدلال على حجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة من خلال إجراء سجال عقلي مفترض في هذه المسألة وهو سجال ليس بمخطوط في الدراسات الإسلامية قديما وحديثا وفق اطلاع الباحث.

وهذا البحث انفرد بدراسة الجانب النظري والتأصيل العلمي لمسألة حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وبيان أهميتها، ومجالاتها، واشترك مع غيره في وضع قواعد نقدية لدراسة المرويات، وذكر نماذج تطبيقية تبين أهمية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

خطة البحث:

المبحث الأول: حجية حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة.

التمهيد: توطئة لموضوع البحث وماهيته وتبيان لمصطلحات الدراسة ويتضمن:

أولا: مفهوم حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

ثانيا: مفهوم الشريعة وعلاقتها بحياة النبي **صلى الله عليه وسلم**.

المبحث الثاني: أهمية دراسة حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة.

المبحث الثالث: ضوابط الاستدلال بحياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة.

خاتمة تتضمن أهم النتائج.

المبحث الأول: حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم **قبل البعثة.**

التمهيد:

تحدث الوحي عن حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة وذلك في عدة مواضع؛ منها ما جاء في معرض الحديث عن وجوه رعاية الله له قبل البعثة وإعداده للرسالة، ومنها ما جاء في سورة الضحى وفي مواضع أخرى، مثل: احتجاج القرآن على صدق الرسول **صلى الله عليه وسلم** ببيان حاله في قومه قبل البعثة قال تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (يونس: 16)، فقد جعل الله عز وجل حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة دليل على صدقه لأنهم عرفوا صدقه وأمانته.

ومن هنا فهذا الاعتبار الإلهي لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة له دلالته المهمة في عدة مجالات، واذا كان الوحي قد اعتبر ذلك فما حجية الاستدلال بحياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة؟ وما أهميتها في الدراسات الإسلامية؟ وما ضوابط الاستدلال بها؟ وهذا المبحث يتناول مفهوم حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** قبل البعثة وحجيتها، ووجه الاستدلال على حجيتها، وعلاقة حياة النبي صلى الله عليه وسلم بالشريعة الإسلامية.

أولا: مفهوم حجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

أ- مفهوم الحجية لغة:

---

[1] İsrafil Balcı, Peygamberlik Öncesi Hz. Muhammed, Ankara Okulu Yay., Ankara 2014. Demil, Emine, Hz. Peygamber'in Risâlet Öncesi Hayatına Dair Rivayetler, (Yayımlanmamış Doktora Tezi) , Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Ankara 2016.

[2] DİNDİ Korkut SİYER - KUR'AN İLİŞKİSİ (Mekke Dönemi) Doktora Tezi, ATATÜRK ÜNİVERSİTESİ ERZURUM – 2017,S11.

[3] ينظر: العمري، أكرم ضياء، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د. ت، وينظر أيضا: Erul, Bünyamin, Siret Tedkikleri, Otto Yayınları., Ankara 2017.

[4] Uyar, Gülgün, Hz. Muhammed'in Risâlet Öncesi Hayatına Dair Bazı Rivâyet Farklarının Tespiti, (Yayımlanmamış Yüksek Lisans Tezi), Marmara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul 1993

[5] أنظر: أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، 1427 هـ.

[6] Safa, Mustafa. (2015). Hz. Peygamber Döneminde Medine'nin Sosyal Yapısı. Ankara: Araştırma Yayınları.s.25-88.

[7] معابده، يحيى زكريا، الرعاية الإلهية للنبي ودورها في نجاح الدعوة الإسلامية"، مؤتمر السيرة النبوية ودورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2011.

[8] MAABDEH, YAHYA, الرعاية والإعداد الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية, Ağrı. İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),2017 ,1(1), 97-113.

[9] الجويني، عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 ، البرهان في أصول الفقه ج1، ص 184 وما بعدها.

الحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة، وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ، والحِجاج المصدر[10]، والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا[11].وهو قريب من الاستعمال الفقهي، ومن خلال النظر في كتب الفقه نجد أن الحجية تطلق في الاصطلاح على الدليل المعتبر شرعا، فيقال حجية السنة وحجية القياس ويراد اعتبارها دليلا في الشريعة.

والمقصود في هذا البحث هذا المعنى فحجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يقصد به مدى اعتبار الشريعة له في ابواب الدين، سواء كان حكما شرعيا مجردا أو فائدة معتبرة في باب من ابواب الدين المطلوبة كما سيأتي بيان ذلك فيما يأتي.

ب- مفهوم ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

يمكن توضيح هذا المفهوم بأنه: هو كل ما يتعلق بالأحداث التي مر بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة سواء كانت صادرة عنه أو متعلقة به، ويدخل في ذلك ما يدل عليه لفظ الاصطفاء والرعاية التي دلت عليها الآيات الكريمة والروايات الصحيحة، ومنها النسب والتنشئة وكأن يمنع من شيء أو يتلقى عناية ممن حوله، وذلك منذ ولادته وحتى لحظة تكليفه بالوحي.

ثانيا: مفهوم الشريعة.

أ- الشريعة في اللغة:

ورد استعمال الشريعة في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا} (الجاثية: 18)، قال القرطبي في تفسير الآية: وَيُقَالُ لِمَشْرَعَةِ الْمَاءِ- وَهِيَ مَوْرِدُ الشَّارِبَةِ- شَرِيعَةٌ. وَمِنْهُ الشَّارِعُ لِأَنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى الْمَقْصِدِ. فَمَعْنَى" جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ" أَيْ عَلَى مِنْهَاجٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ يَشْرَعُ بِكَ إِلَى الْحَقّ[12].

وهذه الآية تشبه استعمال القرآن مركب "الصراط المستقيم" للدلالة على الابتداء والغاية بالسلوك بمقتضى الدين، كقوله تعالى:{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}[الأنعام: 153].

وقد ورد لفظ الشريعة أيضا في قوله تعالى: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} (الشورى: 13) والمعنى في الأصل مستخدم في شق الطريق للماء، يُقَالُ: أَشْرَعْتُ طَرِيقًا، إِذَا أَنْفَذْتَهُ وَفَتَحْتَهُ[13]، فالشريعة لا تتعلق هنا بالوارد وإنما بما أراده صاحب الشريعة من الابتداء والنهاية التي تنتهي إليها الشريعة اذا سار الراكب عليه، فمن شق الماء أراد أن يصل إلى غاية، قال الماتريدي: "وهي ما شرع فيه ويذهب إليه"؛ ونقل عن الْقُتَبِيّ قوله: يقال: شرع فلان في كذا إذا أخذ فيه"[14]، والمعنى: فكأن الله يقول شرعت لكم فاشرعوا أي ابتدئوا بما أمرتكم به من سلوك هذه الشريعة لغايتها، قال المبرد:(شرعة) معناها ابتداءُ الطريق، والمنهاج الطريق المستَمِر[15].

والخلاصة أن لفظ الشريعة في اللغة تطلق على مورد الماء وعلى الطريق ومن هنا كان الاختلاف في تحديد مفهوم الشريعة عند الاصوليين كما سيأتي:

ب- مفهوم الشريعة في الاصطلاح:

المعنى الاصطلاحي للشريعة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى اللغوي الذي أشار له الوحي وقد وقع الاختلاف في تحديد مقصودها، وهناك اتجاهات:

الاتجاه الأول: يرى أن الشريعة تتعلق بالأحكام الشرعية العملية فقط، وهذا هو الاتجاه السائد في كتب الفقه فهي عندهم مرادفة تماما لمصطلح الفقه الإسلامي، الذي يطلق على الأحكام العملية فقط[16]، بينما يرى آخرون أن العقيدة أيضا داخلة في حده، وهي تعني عندهم:" ما شرعه الله تعالى من العقائد والأحكام وهي الدين[17]".

الاتجاه الثاني: يرى أن الشريعة الإسلاميّة لا تتعلق بالأحكام الفقهية العملية لكن تعني ما هو أبعد من ذلك فهي تعني: الطريق والمنهج، ولعل أقرب تعريف لها الاتجاه ما قاله القطان: أن الشريعة: ما نَزل به الوَحي على صلى الله عليه وسلم من الأحكام التي تُصلِح أحوال الناس في الدنيا والآخرة سواءً في ذلك الأحكام العقائديّة، أو الأحكام العمليّة، أو الأخلاق[18].

ويرى الباحث أن مقصود الشارع ابتداء يتضمن على وجه الخصوص ما هو أبعد من الأحكام العملية والعقائد والأخلاق ويتعدى إلى الوسائل والغايات والعلوم الموصلة لها وعلاقة المكلف بها، فالحكم الشرعي نفسه يشمل كل هذه الوجوه، فإن كل تصرف من المكلفين إنما يطلب به تحقق مراد الله سواء كانت أحكاما تعبدية أو وسائل أو غايات، وهي تشمل الظاهر والباطن أيضا فالمنافق ليس على شريعة الله حتى لو التزم بمقتضاها ظاهرا. وأن الخلاف بين الفقهاء ليس بمقصود إبتداء، لأن الجميع متفق ضمنيا على أن الحكم الشرعي متعلق بوظيفة العبادة والعمارة، ولعل عبارة الامام ابو حنيفة هي أسبق وأبلغ في تعريفه للفقه بقوله: "مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا"[19].

ب- علاقة الشريعة بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم[20].

---

10. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت، باب الحاء مع الجيم، ج3، ص10.

11. أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001، باب الحاء والجيم،ج3، ص251.

12. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1964 ، ج16، ص163.

13. القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج3، ص 262.

14. الماتريدي، محمد بن محمد، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 2005 ، ج9، ص 223.

15. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1988، ج2، ص 185.

16. أنظر: خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، عن الطبعة الثامنة لدار القلم، ص11.

17. أبو حبيب، سعدي القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق،1988 ، ص 193.

18. مكتبة وهبة، القاهرة، ط 5، 2001 ، ص 13-14. تاريخاً ومنهجاً، الإسلام في مناع، التشريع والفقه القطان،

19. علاء الدين، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د.ت، ج1، ص5.

20. هذه العنوان مقتبس بتصرف من بحث للكاتب قيد الإعداد عن مفهوم السنة بين المتقدمين والمتأخرين ومرادفاتها في علوم السنة.

أما العلاقة بين الشريعة وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن التصرف النبوي هو الشريعة نفسها بصفته مطبقا لها وملتزما بها وساعيا لها، سواء كان اتباع النبي للوحي بإتباعه للقرآن أو ما يوحى إليه خارج القرآن، وأما ما كان في باب السياسة الشرعية باعتباره وجها من وجوه تطبيق الشريعة والسير عليها، فإنه لا يلغي الوجوه الأخرى المحتملة للوصول الى الحكم الشرعي وتطبيقه والتي أصل لكل منها الوحي ابتداء، أو ما كان متعلقا بخصوصية النبي صلى الله عليه وسلم في ما شرع الله له من أحكام، ولكل واحد من هذه الاحتمالات قرآئن تدل عليها وقد وقع الاختلاف في اعتبار بعضها وحيا أو اجتهادا.

ومن هنا فقد أُطلق على ما كان متضمنا حكما شرعيا بالحديث المرفوع وأحيانا بالسنة[21]، وما كان في باب الاحتمالات الأخرى حديثا، أي رواية مجردة عن الحكم الشرعي باعتبارها لا تفيد حكما شرعيا، ولا مشاحة في الاصطلاح لكن الباحث يرى وجوب تحري الدقة في توصيف ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم والرجوع إلى استعمال الوحي نفسه، فما كان مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل حكما شرعيا (الواجب، المندوب، المباح، الحرام، المكروه) يجب أن يوصف به ، فالحكم الشرعي سواء كان مصدره القرآن أو السنة أو غيرها من أدلة الأحكام هو حكم شرعي والتفريق بين القرآن والسنة هو تفريق بين الله والرسول.

والحقيقة أن التمسك بلفظ عام بعيدا عن دلالته على التشريع لا يساعد في سد الفجوة المعرفية والدلالية لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد يكون ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فرض أو مستحب أو مباح وقد يكون ما نهى عنه مكروها أو حراما ومن هنا لا بد عند الحديث عن الأحكام الشرعية عدم التفريق بالقول بين القرآن والسنة باعتبارهما مصدرا واحدا مشكاته الوحي.

بينما لا بد من التوسع والتأصيل بشكل منهجي إلى الاصطلاحات الفرعية لعلوم السنة لإبراز وجوه التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم وفق الحقول المعرفية التي أصل لها الوحي ابتداء، ولا بد من ملاحظة أن هذا ليس بجديد إذا ما نظرنا الى صنيع العلماء قديما وحديثا فقد استعملوا ألفاظا متعددة لتوصيف ما ورد من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالعلماء لم تغب عنهم فهم هذه الفروقات وبالرجوع إلى استعمال الوحي نفسه سواء ما دل عليه القرآن مثل كلمة الأسوة في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب: 21)، والحكمة في قوله تعالى {كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ} (البقرة: 151) على خلاف بين العلماء في تحديد ماهيتها [22]، ومنها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل: مفهوم كلمة "الهدي"[23] كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: " فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ"، ومفهوم كلمة "السنة" في قوله النبي صلى الله عليه وسلم "فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[24]، وما وضعه العلماء باجتهادهم مما فهموه مما أصل له الشرع ودل عليه مثل لفظة: الشمائل[25] والخصائص[26]، والإرهاصات[27]، والدلائل[28]، فكل هذه المسميات وردت صراحة في نصوص الوحي أو استنبطها العلماء مثل مصطلح الارهاصات والخصائص وكان لكل واحد من هذه المصنفات كتبا ومناهج وضوابط.

والخلاصة أن التصرف النبوي إما أن يكون جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية باعتباره مطبقا ومتبعا للوحي أو مبلغا عن الله بحكم جديد لم يرد في القرآن، أو يكون جزء من الشريعة باعتبار أن الله قد أمر المؤمنين باتخاذ النبي صلى الله عليه وسلم أسوة في الحياة، وكلها مطلوبة شرعا حتى تلك التي خرجت مخرج السياسة الشرعية فهي باب عظيم في بناء مناهج التفكير وفهم واقع الشريعة وتاريخها وسنن التغيير التي قامت بها الحضارة الإسلامية، وكل ذلك له بالغ الأهمية في دراسته وجمعه واستقصائه ومعرفة الفروق بينه.

ومن هنا فإن الاهتمام بكل المرويات عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم - حتى الضعيفة منها - وفق المنهج العلمي المحتكم إلى قواعد علمية دقيقة غاية في الأهمية، لما لها أهمية بالغة في الدلالة على معارف وعلوم شرعية ومن أهمها الدلالة على النظرية التربوية في الإسلام، وفهم الأبعاد العملية التي دلت عليها الآيات القرآنية في الحديث وغيرها من الفوائد، وبذلك لا يفترق ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة عما جاء بعدها في هذه الجوانب فلها دلالاتها التامة في كل ماسبق.

حجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم **قبل البعثة.**

تناول الأصوليون الاستدلال على حجية التصرف النبوي "قولا وفعلا وتقريرا" بشكل موسع في كتب الأصول في مواضع كثيرة[29] والمقصود ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بصفته مكلفا أو مبلغا، ولكن لم يصرح أحد بأن هذا الاستدلال يشمل ما كان قبل البعثة، ولم يجد الباحث من تحدث عن هذه المسألة بعنوان مستقل يبحث فيه حجية الأخبار قبل البعثة في الاستدلال على قضايا الشريعة، ولذلك فإن البحث يسعى إلى الاستدلال على حجية ما ورد قبل البعثة من خلال إجراء سجال عقلي مفترض في هذه المسألة وهو سجال ليس بمخطوط في الدراسات الإسلامية قديما وحديثا وفق اطلاع الباحث.

---

[21] الصنعاني، محمد بن إسماعيل، بحوث في مصطلح الحديث، تحقيق: محمد عويضة، دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى1997، ص230.

[22] الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج1، ص 594.

[23] أخرجه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ج2، ص 592.

[24] أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ ، ج7، ص2.

[25] من نماذج التأليف في السيرة النبوية ما عرف بكتب الشمائل ومنها الكتاب المشهور: الترمذي، محمد بن عيسى الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1993.

[26] السيوطي، الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الكتب العلمية ، بيروت، عدد الأجزاء: 2،

[27] الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1993 ، ج1، ص 4.

[28] ومن نماذج كتب الدلائل، أنظر: الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية: 1986.

[29] الجويني، البرهان في أصول الفقه، ج1، ص 184 وبعدها.

ومن هنا فالبحث سيلجأ الى التأصيل الفلسفي أيضا في توضيح العلاقة بين الشريعة وحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وحتمية الاستدلال بها وأهميتها، ولنفترض في المسألة فريقين يمثل كل منهما رأيا ويستدل كل صاحب رأي بأدلة مستقلة:

الفريق الأول: يرى أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ليس لها قيمة تشريعية بخلاف حياته بعد البعثة فهي حجة ودليل، ويمكن الاستدلال بذلك على النحو الآتي:

1- أن السنة هي ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا وهي غير معتبرة قبل البعثة كونه لم يكلف برسالة وهذا مسلَّم به ومتفق عليه، فلا قيمة تشريعية له ولا يمكن اعتباره تشريعا.

2- وعلى افتراض حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلا قيمة عملية لها، لأنه معلوم أنه لم يكلف قبل البعثة بأي تكليف شرعي ولم يكن هناك أحكام تشريعية.

3- أن وجوه الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة لا تمثل دليلا فهي لم تسلب منه صفته البشرية واختياره الطوعي للفضيلة قبل الوحي فكيف تعتبر حياته قبل البعثة دليلا.

4- أن كل ما ورد من دليل على حجية السنة إنما يتعلق بما بعد النبوة وأن الاستدلال بحجية ما ورد قبل البعثة يحتاج إلى دليل مستقل.

الفريق الثاني: يرى أن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حجة تشريعية قائمة، ويمكن الاستدلال على حجيتها بما يأتي:

1- قد بين القرآن وذكرت السُّنَّة وجوها للرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وخاطب بها نبيه، وهي أشبهت التشريع من جهة أن القصد الإلهي لرعاية النبي صلى الله عليه وسلم وقع من جهة المنع أو الاختيار الذي ارتضاه الله للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وهذا له دلالة تشريعية معتبرة لا يمكن التغاضي عنها.

2- أن الله عز وجل قد جعل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حجة مطلقة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب بهذا الاستدلال أهل مكة، ومن باب أولى أن يكون هذا الخطاب متجها لمن آمن بالشريعة ، واعتبار ما ورد عنه قبل البعثة في موضع الاحتجاج.

3- أن ما استدل به الأصوليون على حجية السنة يشمل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فالأدلة مطلقة لا يمكن تقييدها إلا بدليل.

4- أن التشريع المستنبط مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم "بأنها ما ورد من قول أو فعل أو تقرير" هو أبعد من الأوصاف الفقهية المجردة للحكم الشرعي.

وإنما خرجت مخرج الاصطلاح الذي يتضمن في الحقيقة كل الدلالات المقصودة شرعا، وأن المقصود بهذه القيود الثلاثة" الفعل، القول، التقرير" الحالة النبوية سواء كانت قبل البعثة أو بعدها وما يستنبط من فهمها من علوم وأحكام.

وهنا يكمن الجواب عن الدليل الثالث والرابع، فالحقيقة أن الاحتجاج وتحقق دلالة كلمة الشريعة الواردة في القرآن لا يتعلق بالأوصاف الفقهية المجردة مثل: الحلال والحرام والمكروه بل هي تشمل كل نواحي الحياة وفقهها ولذلك قرن لفظ الشريعة بالمنهاج ومن هنا لا يمكن إهمال العلوم التي يمكن استنباطها فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة خاصة في مجال النظرية التربوية وغيرها من العلوم باعتبارها مطلوبة شرعا في موضع التأسي وغيره.

تحرير موضع النزاع:

لا بد من تحرير عدة مسائل للوصول إلى الاستدلال على حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، والباحث يرى أن التصرف النبوي بعد البعثة لا يخرج عن كونه شرعا إلا اذا دلت عليها القرائن على خلاف ذلك فيكون إما من باب السياسة الشرعية أو الاجتهاد أو التصرف البشري أو أن يكون خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولكلِّ واحد منها وسيلة للإثبات وهي مسألة اجتهادية يمكن الاختلاف في اعتبار بعضها وثمة اتجاهات تفسيرية لها.

وأما في ما يتعلق بحياته قبل البعثة فهي لا تختلف عن حياته بعد البعثة من جهة الاحتجاج بها لأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالاعتبارات السابقة دليل وحجة، حتى لو لم يكن هناك حكم شرعي مجرد لأن الاختيارات الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أشبهت التشريع، ولذلك وجب العناية بها.

ويمكن تجلية بعض الأمور لبيان حجية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فيما يأتي:

أ- من جهة الاستدلال الأصولي على حجية ما ورد عنه قبل البعثة:

أولا: أن دلالة الحكم الشرعي بالاعتبار القرآني يتجاوز الأوصاف الخمسة، باعتبار أن الحكم الشرعي يشمل الأحكام نفسها ومقاصدها ووسائلها فهي شاملة لكل المعارف الإسلامية، وهذا واقع التطور الاصطلاحي في تاريخ التشريع الإسلامي، ومن هنا فان المصطلحات الفقهية الجديدة نسبيا مثل فقه السياسة الشرعية وعلم المقاصد وغيرها من المسميات، وهي جزء لا يتجزأ من الشريعة وينطبق عليها مفهوم الحكم الشرعي لأنها مقصودة شرعا.

ثانيا: ومن هنا فالاعتبار الإلهي لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أو بعدها لا يتعلق بالأوصاف الشرعية المجردة، بل يتجاوز إلى قضايا غاية في الأهمية مثل الاختيارات التربوية في الشريعة الإسلامية وغيرها من الاختيارات فهي جزء لا يتجزأ من مفهوم " الحكم الشرعي" فالحكم الشرعي يؤسس لكل المعارف الإسلامية لأن الله تعبدنا بالأحكام والغايات والوسائل معا وكل منها جزء لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية.

ثالثا: أن القرآن اخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ولا بد لتحقيق هذه الفريضة أن تكون دراسة حياته شاملة كل التفصيلات الحياتية ويدخل في ذلك حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، لاستخراج جوانب ما أسماه الشرع بالأسوة الحسنة وغيرها من الأوصاف، ولا يعقل أن نُخرج منها حياته قبل البعثة لأنها مليئة بالمواقف المهمة.

رابعا: ولا بد من التنبه لمسألة وهي أن في القرآن آيات ليس فيها حكما شرعيا بحتا، كالقصص لكن جاءت في القرآن لحكم وغايات ومقاصد وهي مطلوبة شرعا، فكذلك الحديث بعضه يكون وحيا يمثل حكما شرعيا وبعضه يكون وجها من وجوه تطبيق الشريعة والوصول إلى أحكامها فهي "النموذج النبوي في تطبيق الوحي"، وبعضه يكون أسوة كما اصطلح عليه القرآن، سواء كان موحى به من الله أو صادرا عن النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وكل ذلك مطلوب الاعتناء به شرعا وهو يفيد قيمة شرعية نهائية تستنبط وفق ضوابط علمية.

د- الاستدلال من جهة اعتبار الشريعة الإسلامية لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

تناول القرآن الكريم جوانب من حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وصرح القرآن الكريم بالدلالة عليها في عدة مواضع، وهذه المواضع كان فيها نوعا من الاحتجاج، ومن هذه المواضع:

أولا: دلالة القرآن الكريم على وجوه الرعاية الإلهية الشاملة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ولا شك أن الاختيارات الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم حفظا ورعاية وعناية قبل البعثة هي موضع احتجاج واعتبار الشرع وهي أشبهت التشريع من جهة أن القصد الإلهي لرعايته وقع من جهة المنع أو الاختيار الذي ارتضاه الله له، وهذا له دلالة تشريعية لا يمكن التغاضي عنها وفيها دلالة على علوم الشريعة بوجه أو آخر خاصة فيما يتعلق بالنظرية التربوية في الإسلام.

ومن هذه الآيات التي دل عليها القرآن:

1- الدليل الأشمل في بيان اهتمام القرآن بحياة النبي صلى الله عليه وسلم واعتبارها قبل البعثة ما جاء في سورة الضحى.

قال تعالى:{وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} (الضحى:1- 3)، فأقسم الله عز وجل بالضحى والليل إذا سجى ليؤكد للنبي وللمؤمنين بصيغة الماضي على وجه القطع أنه لم تنقطع عنه رعايته وهذا يشمل حاله قبل البعثة، قال الزمخشري: "عدّد عليه نعمه وأياديه، وأنه لم يخله منها من أوّل تربيه وابتداء نشئه، ترشيحاً لما أراد به؛ ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه، لئلا يتوقع إلاّ الحسنى وزيادة الخير والكرامة"[30]، فقد بين الله مباشرته لنبيه عناية ورعاية وهذا في النتيجة يعني أن هذه الاختيارات في موضع الاعتبار التشريعي.

وهذه الأدلة قد ساوت بين الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها وهذا آكد في الاعتبار، ووجه الدلالة على المساواة: أن الآية جاءت لتأكيد دوام الرعاية والعناية به فالمعنى: أن من رعاك صغيرا لن يتركك بعدما أوكل إليك المهمة الجليلة بتبليغ دينه.

2- قوله تعالى: {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } (الطور 48).

ويقول الزمخشري: بحيث نراك ونكلؤك[31]، ووجه الدلالة أن العين في استخدام العربية تطلق على مزيد العناية وَيُقَالُ: عَيْنُ اللَّهِ عَلَيْكَ إِذَا دَعَا لَكَ بِالْحِفْظِ وَالْحِيَاطَةِ[32]، والحفظ والحراسة"[33]، وهو يشمل البناء الجسدي والتربية.

ثانيا: أن الله عز وجل ذكّر نبيه بما حباه به من رعاية قبل بعثته مذ كان صغيرا.

وهذا التذكير يقتضي أن الله قد اعتبر حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حجة على النبي صلى الله عليه وسلم من جهة تذكيره بها وعدها من نعمه وهي من باب أولى أن تكون معتبرة في الأمة وهي قرآن يتلى، وأن تكون معتبرة في الدراسات الدينية.

ثالثا: أن الله عز وجل قد جعل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حجة على قريش لإثبات صدقه.

والمعنى أن القرآن يؤسس لتزكية حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وهي معتبرة عند قريش أصلا قبل ذكر القرآن لها، فلما ذكرت في القرآن باعتبارها وجها من وجوه الاحتجاج بها على صدقه فهذا يعني أنها معتبرة شرعا بوجه من الوجوه، قال تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (يونس: 16)، فقد جعل الله عز وجل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليل على صدقه لأنهم عرفوا صدقه وأمانته، وهذا دليل على أهميتها فهي تشكل في مجملها دلائل لا بد من اخذها بعين الاعتبار بما تؤسس له من معارف فهذه الجوانب التي كانت حجة على قريش وشكلت اجماعا على شخصيته العظيمة من باب أولى أن تكون هديا للمؤمنين.

رابعا: أن الله قد بين أهلية النبي صلى الله عليه وسلم في تلقي الوحي بما كان حاله قبل البعثة.

إذ قد جعل الله هذا الاصطفاء للنبوة والرسالة منوطا بقدرته على تحمل أعباء الدعوة إلى الله وتبليغ رسالته، فقد بين الله عزوجل أنه لا يرسل إلا من تأهل لهذه المهمة الجليلة، قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} (الأنعام 124)، وجاءت هذه الآية في معرض الرد على من اشترط لإيمانه بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤتى مثل ما أوتي الرسل من الوحي والرسالة، فجاء الجواب بأنهم غير مؤهلين لتلقي الوحي إذ إن الرسالة مهمة عظيمة لا يستطيع أن يقوم بمهامها إلا من هو مؤهل لها، يقول الطبري: "فأنا أعلم بمواضع رسالاتي، ومن هو لها أهل[34]"، ومن هنا فلا بد من معرفة هذه الجوانب وهذه الخصائص التي دل عليها الشرع والتي أصبح بها مؤهلا، وهذه الاختيارات الإلهية قبل البعثة تشكل بمجملها معارف إسلامية مطلوبة ومعتبرة شرعا.

خامسا: إن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة كانت وجها من وجوه الاحتجاج على صدقه ووثوق أقرب الناس إليه.

---

30. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج 4، ص 772.

31. المرجع السابق، ج 4، ص 415.

32. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، ج 22، ص 48-49.

33. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص 78.

34. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ج 12، ص 96.

وهي زوجته خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت دلالة على صدق نبوته عند المقربين منه فخديجة رضي الله عنها تقول له: "كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا فوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الحديث وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الْحَقِّ[35]" لأنها عرفت أن من كان متصفا بهذه الصفات لا ينبغي أن يصاب بعارض عقلي أو طائف من الشيطان أو أن يكون كاذبا أو متصنعا، بل علقت الأمر بإرادة الله له الخير لأنها رأت أن كمال شخصيته أمر تعلقت به رعاية إلهية فهو لن يخزيه.

وخلاصة هذه الأدلة أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة معتبر في الشريعة الإسلامية بدلالة واضحة في عدة جوانب، وهي من باب أولى أن تكون محلا للدراسات الدينية في كل المجالات المتصورة من الحياة وهذا جزء من العمل بفرائض الشريعة التي أمر الله بها عباده فحجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يتجاوز الأوصاف الفقهية المجردة للحكم الشرعي.

المبحث الثاني: أهمية دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم **قبل البعثة "نماذج تطبيقية"**

إن الدراسات الإسلامية قد تناولت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحال العرب قبل الإسلام قبل البعثة بصورة أو بأخرى، وخاصة في دراسات السيرة النبوية فلا يخلو كتاب من كتب السيرة منهما، وهذا يدل دلالة عملية على أهمية هذه المرحلة في الدراسات الإسلامية.

وهذه وجوه تبين أهمية هذه المرحلة، وحتمية الرجوع إلى حياته قبل البعثة باعتبارها جزء مطلوبا العناية به شرعا، مع نموذج تطبيقي مقتضب لكل منها يبين عمليا أهميتها.

أولا: فهم الدلالة العلمية للآيات القرآنية الواردة عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وما يتصل بها.

لقد تحدث القرآن الكريم في عدة مواضع عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والبيئة التي عاش فيها، إن الرجوع إلى هذه المرويات أمر في غاية الأهمية في التوسع في فهم دلالة الآيات الكريمة، في الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. ويمكن فهم دلالة الآيات الكريمة وطبيعة الإيواء الذي تلقاه، وما حبب إليه من الخلوة وغيرها من المواقف.

ثانيا: فهم جوانب الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودلالتها التربوية.

لقد حبا الله عز وجل نبيه بالرعاية الشاملة منذ اللحظة الأولى لولادته وهيأ له من الأمور ما يؤهل شخصيته لتحمل أعباء الدعوة الخاتمة للرسالات والقدرة على إحداث التغيير ليكون الدين حاضرا مكتملا أمام البشرية حجة على البشرية حتى قيام الساعة، أن هذه الرعاية الإلهية له عملية تطبيقية للنظرية التربوية في الإسلام ومجال عظيم للتأسي بها باعتبارها نتاج اصطفاء ورعاية، وإن أهم مرحلة للتأسي هي تلك المرحلة البنائية التي شكلت شخصيته قبل البعثة

لقد أشار كتاب السيرة إلى دور هذه الرعاية الإلهية في تنشئة النبي صلى الله عليه وسلم وبناء شخصيته، قال ابن إسحاق: "فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ورسالته وهو على دين قومه، حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم مخالطة[36]".

إن الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم جعلت منه شخصا فذا في كل نواحي الحياة وبصورة شمولية تحتاج الأمة اليوم أن تبذل جهدا كبيرا في تجلية هذه الجوانب وأن تفيد من العلوم الإنسانية والحضارية على مستوى الأفراد والمؤسسات حتى توضح للامة معالم الشخصية النبوية التي رعاها الله عزوجل إن لكل مرحلة من مراحل حياته ما يميزها وكان لها دورا هاما في بناء شخصيتة لتكون هذه الشخصية الناجحة مقدرة لذاتها[37]، وقادرة على التأثير وتحمل المسؤوليات[38]، وصناعة التأثير[39]. ثالثا: وبالتالي فحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة جزء هام من معالم النظرية التربوية في الإسلام.

ويمكن للدراسات المتخصصة اليوم في مجال التربية وعلم النفس أن تبين معالم المنهج التربوي المرتبط بكل حدث منها بما يجلي نظرية الوحي في مجال التربية الإسلامية في كل فروعها وعلومها المتصورة عقلا.

ثانيا: فهم دلالة الآيات القرآنية التي تتحدث عن حال الحاضرة الإنسانية التي حملت الدعوة للناس كافة زمن البعثة.

إن استقصاء المرويات قبل البعثة عملية مهمة للغاية في فهم الأبعاد الحقيقية التي تتحدث عنها الآيات وهنا يمكن الحديث عن سورة الفيل وسورة قريش وغيرها من الآيات الكريمة، ومن خلال جمع المرويات التاريخية الواردة في المسألة يمكن تجلية الصورة التي ذكرها القرآن الكريم وبيان دلالاتها في الواقع الذي كان يعيشه النبي صلى الله عليه وسلم آنذاك.

ويرى الباحث هنا أن الدراسات الإسلامية تحتاج إلى التوسع في دراسة هذه الآيات باعتبارها جزءا مهما من فهم القرآن وإظهار دلالاتها في ضوء العلوم الإنسانية كالسياسة والاجتماع والاقتصاد بشكل اكثر توسعا وتخصصا.

رابعا: فهم طبيعة التغيير الشامل الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم والذي كلفه الله به سواء كان في مكة أو الجزيرة العربية أو العالم.

---

35 أخرجه البخاري، الصحيح، ج1، ص7.

ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، 1411 هـ، ج 1، ص 323.36

37 وتقدير الذات هو: "حكم الفرد على مدى كفاءته الشخصية"، الضيدان، محمد ضيدان، تقدير الذات وأثره وعلاقته بالسلوك، الحميدي، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1424هـ، ص 8.

38 إن تقدير الذات: "علامة على الصحة النفسية، المتسمة بالفعالية والرضا والإحساس بالتفاؤل واحترام المجتمع والقادرة على مواجهة الحياة وعدم القبول بالظلم والسعي إلى الإصلاح بدلا من النقد الهدام"، أنظر: عيسى، محمد رفقي، الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح، بحث المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية. بحوث المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية 2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2 1994 . ص 1096.

39 المرجع السابق، ص 1091-1095.

انه لا يمكن فهم هذا التغيير الذي صنعته الدعوة الإسلامية في مكة إلا من خلال دراسة طبيعة المجتمع الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم ومن هنا فإن القصص القرآني كان غاية في الأهمية من جهة أخذ العبر والدروس واكتشاف السنن الإلهية في الأمم نهوضا وانهيارا، ومن باب أولى أن يكون تاريخ قيام الحضارة الإسلامية في زمن البعثة أكبر ميدان للبحث العلمي.

ومن جهة أخرى لا بد من دراسة الأمر أيضا من زاوية الشخصية النبوية كمؤثر، فلم تكن الدعوة الإسلامية لتحقق اختراقا شاملا في الحياة الإنسانية ابتداء من مكة المكرمة حتى عمت الجزيرة العربية ومساحات سياسية شكلت جزءا كبيرا من العالم آنذاك دون تحقق شروط كثيرة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت ثمارا للرعاية الإلهية له صغيرا حتى تأهل لحمل الرسالة عند الأربعين من عمره وهذا له دلالة مهمة ومعنى خاص إذا نظرنا إلى الشخصية كمثير[40].

لقد خاض النبي صلى الله عليه وسلم غمار التغيير الحضاري الشامل وأحدث تحولا جذريا في الجزيرة العربية حتى تأسيس الدولة المدنية والتي لم تعرف مثلها البشرية آنذاك، إن هذا التغيير الحضاري الهائل الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليتحقق لولا الإبداع الذي استطاع أن يخترق به االكيانات القوية آنذاك ويتجاوز التخطيط المضاد الذي سعت فيه قريش إلى القضاء على الدعوة في مهدها ومن ثم بعد قيام كيانها السياسي في المدينة[41].

خامسا: التفسير العلمي المقترن بالدليل لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بعيدا عن الإفراط والتفريط.

إن الدراسة العلمية لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يساهم في صيانة السيرة النبوية عن الخرافات، ويعطي تفسيرا علميا مبني على تجلية السنن في كل مجالاتها، وبذلك يتحقق بمنهجية علمية يفهم بها وجوه التأسي بالنبي بدون إفراط أو تفريط، فالإطراء يلغي مبدأ التأسي، والتفسيرات التي تلغي الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم تخرجه من النبوة إلى العبقرية البحتة، وتعني إفراطا يساوي في النتيجة تماما تلك التفسيرات المبنية على الخرافات.

وهنا يمكن الحديث أن النجاح الذي تحقق هو ثمرة هذه الرعاية الإلهية، ويمكن الحديث هنا عن جوانب كثيرة من الإبداع النبوي في عدة جوانب منها: الإبداع في صناعة الجيل الحضاري، استثمار الطاقات البشرية، من خلال الشورى والتخطيط ومراعات الفروق الفردية وتوزيع الأدوار والاستعانة بالخبرات، الإبداع في التصدي لأساليب قريش في محاربة الدعوة الإسلامية وتجاوز العقبات وتنويع أساليب الدعوة، واستخدام مهارات التأثير وفن الإقناع.

ويظهر ذلك في مواقف كثيرة منها نجاح الهجرة النبوية إلى المدينة والتي كانت نواة الدولة المدنية آنذاك، لقد أشار القرآن الكريم إلى حسن تولي النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الطاقات فقال تعالى: {وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } (الأنفال: 62).

سادسا: إن دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة باب عظيم في رد الشبهات.

باعتبار أن التشكيك بالنبوة كان جزءا منه مبني على دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ومثلما كانت هنالك دراسات سلبية في نظرتها لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فثمة دراسات استشراقية أنصفت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا وهي تعتمد على مرويات ما قبل البعثة، وهنا نموذجين لموقف المستشرقين من يتم النبي صلى الله عليه وسلم وأثرها في تشكيل شخصيته:

)"إن محمداً هذا الرجل الملهم، الذي أقام الإسلام، ولد يتيماً محباً للفقراء James Michenerالأول: يقول جيمس متشنر (والمحتاجين والأرامل واليتامى والأرقاء والمستضعفين...، ورفع عن المرأة قيد العبودية التي فرضتها تقاليد الصحراء، ونادى بالعدالة الاجتماعية وقد عرض عليه في آخر أيامه أن يكون حاكماً بأمره، أو قديساً، ولكنه أصر على أنه ليس إلا عبداً من عباد الله أرسله إلى العالم منذراً وبشيراً"[42].

): "يمكن أن نستنتج من هذه الآيات: أن إحدى مراحل تفتحه كانت إدراكه Montgomery Wattالثاني: يقول مونتجمري وات (أن يد الله قد أخذت بيده بالرغم من مصائب الدهر وسنعرف بعض الإشارات إلى هذه السنوات الغامضة"[43].

ويتضح مما سبق أن يُتم النبي صلى الله عليه وسلم جزء لا يتجزأ من الرعاية الإلهية له قبل البعثة، وجزء من تشكيل شخصيته ليكون مؤهلا لحمل النبوة من جهة ومؤهلا لقيادة الأمة ورعاية الإنسانية فيعطف على الفقير ويتفقد الأيتام ويتلمس حاجات الرَّعية ويساهم في تحقيق السلم العالمي والمجتمعي آنذاك.

إن مهمة التصدي للشبهات مهمة لن تنجز من دون القيام بالدراسات العلمية الصحيحة لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ومن هنا كان لزاما على الباحثين الرجوع إلى تلك الفترة لأنها تحمل في طيها ردا مبينا على تلك الشبهات وهو ما قامت به بشكل جلي كثير من الدراسات العلمية.

سابعا: إثبات مصداقية النبي والدعوة.

إن مصداقية الدعوة ارتبطت ارتباطا وثيقا بصدق النبي صلى الله عليه وسلم حتى خارج الاطار الزماني والمكاني الممتد إلى واقعنا اليوم، ويمكن القول هنا أن أعظم دليل على صدق رسالة الإسلام لا يمكن فصله عن مصداقية الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره

---

40 أي " مقدار ما يؤثر الفرد في الآخرين"، ينظر بعض علماء النفس إلى الشخصية كمثير وهو ما ذهب إليه فلمنج وغيره، بينما ينظر البعض إلى الشخصية كاستجابة للمثيرات، و الشخصية إما أن تؤثر وإما أن تتأثر ولا شك أن كلاهما جزء لا يتجزأ من تشكيل الشخصية وثمة عناصر كثيرة تؤثر فيهما، انظر: النجار، النجار، مسعد احمد، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1416هـ. ص 28،29.

41 MAABDEH, YAHYA, الرعاية والإعداد الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية, 110-111.

42 نقل هذه العبارة عن المستشرق جيمس متشنر: الظالمي، حسن الشيخ خضر، قالوا في الإسلام، دار الكتاب العربي: القاهرة الطبعة الثانية، د.ت، ص 50.

43 مونتجمري وات، محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، القاهرة: المكتبة المصرية، د.ت، ص 75.

إنسانا، وتفسير ذلك أن البشرية جربت عبر التاريخ من يتخذ الدين والقيم وسيلة لتحقيق منافع مالية أو اجتماعية أو سياسية، لكن سرعان ما تنكشف صحة الدعوى إما بسيرة هذا الشخص قبل الادعاء أو بصنيعه بعد التمكن، وهذا ما اختبر في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعده فتأكد لديهم صدقه وصدق دعوته.

لقد كانت معالم شخصيته قبل البعثة حجة على قريش فيما بعد فلم يعرفوه إلا صادقا أمينا فقد نعت الله عز وجل حال نبيه قبل البعثة بالنعمة ليؤكد أن ما حازه من رعاية حجة على المنكرين وذلك في قوله تعالى:{مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} (القلم: 2)، يقول ابن عاشور: "لأنهم إذا نظروا الدلائل وتوسموا الشمائل علموا أي الفريقين المفتون أَهُم مفتونون بالانصراف عن الحق والرشد، أم هو باختلال العقل كما اختلقوا [44]".

ولو كان هنالك انفصام بين شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ومضامين الوحي لكان ذلك مدعاة لتكذيب الرسالة بأدنى شك، قال تعالى: {قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } (يونس: 16)، فقد جعل الله عز وجل حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة دليل على صدقه لأنهم عرفوا صدقه وأمانته.

إن أخلاق النبي لم تكن موضع اختلاف عند قريش لا قبل البعثة ولا بعدها إذ عرف النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته بالصادق الأمين، ولما سأل ملك الحبشة أبا سفيان عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم: " فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: لاَ"[45]، وهذا يعني: أن إجماع قريش على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم وحكمته ظهر جليا وخرج مخرج الإجماع فقبلت به حكما في حادثة بناء الكعبة.

والأهم في مجال الكلام عن أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم أن معرفة قريش لخُلقه كان محتكما إلى التجربة في إطار الاتصال التفاعلي مع المجتمع أي أنه في أوسع دائرة بحيث أن قريش تعرفه حق المعرفة خاصة وقد عمل في التجارة وغيرها مثل مشاركته في الحياة العامة.

والخلاصة أن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم أثبتت حضورا إيجابيا شاملا في الحياة الإنسانية عبر العصور، قبل البعثة وبعدها وهي حاضرة في دراسات المؤرخين وعلماء التربية والسياسة وغيرهم حتى وقتنا الراهن، وما زالت شاهدا حيا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق رسالة الإسلام، ولا بد من دراستها والاهتمام بها في كل المجالات العلمية والعملية المتصورة وفق منهج علمي دقيق وهذا ما يبينه المبحث الآتي.

المبحث الثالث: ضوابط الاستدلال بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم **قبل البعثة.**

مما سبق نخلص إلى أهمية المرويات الواردة قبل البعثة في فهم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وادراك واقع الجزيرة العربية وتجلية كثير من المسائل المهمة السابقة، وقد اعتنى بجمعها ودراستها جل كتب السيرة النبوية قديما وحديثا حتى لو لم يشيروا إلى أهميتها أو حجيتها، ولا بد من دراستها في ضوء منهج علمي نقدي حتى يقع الاستدلال الصحيح بهذه المرويات بما يحقق مقصد الشريعة من ذكرها. فالذي يحدد هذه الوجوه المعتبرة هي القواعد العلمية والضوابط العملية، يتناول هذا المبحث دراسة ضوابط الاستدلال بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على النحو الآتي:

أولا: الاعتبارات التشريعية المتصورة فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

باعتبار أن ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة قابلا للاحتجاج فإن ذلك يعني جريان المتصور عقلا في الأصول الفقهية للاجتهاد عليها دليلا شرعيا، ولنتصور مسائل افتراضية كثيره منها على سبيل المثال: إمكانية الترجيح بفعل النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وغيرها من المسائل، والحقيقة أن الافتراضات توسع المدارك العقلية لكن الواقع مختلف كليا في هذه المسألة ولعل الأمثلة في هذا الباب والتي تصلح للاستدلال بها تبدو قليلة، لكنها تؤسس بمجملها على قضية ثبات الدين وكلياته عبر تاريخ البشرية فشريعة الله واحدة وإنما تختلف الأحكام التفصيلية في الجزئيات لا في الكليات.

ويمكن الحديث عن الاعتبارات الشرعية لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في بابين.

الباب الأول: الاحتجاج بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في باب الأوصاف الفقهية الخمسة للحكم الشرعي.

وهنا يمكن القول في مسألة الاحتجاج بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بأن الاختيارات الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم لم تخرج أصلا عن حكم الشريعة الإسلامية في مجال الحلال والحرام ولم تختلف أبدا عما هي عليه أحكام الشريعة بعد البعثة، وفي مجال العقيدة فلا مجال للنسخ فيها أصلا، وأما ماهية هذه الأحكام فيمكن استنباطها من الاختيارات الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة منعا أو تيسيرا، فمعلوم أن الله قد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم وصانه عن نقائص ما كان في وهذه الاختيارات تعطي دلالات فقهية.

وبيان ذلك: أن العرب كانت على بقايا الحنيفية السمحة ولكن ادخلوا فيها أمورا حرفتهم عنها، حتى اضمحلت بعض صور الحنيفية السمحة وحلت مكانها صور الانحراف، ومع أن النقاد اختلفوا في كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما قبل البعثة [46]إلا أن هذه الرعاية الإلهية قد أخذت بالفعل صورة العصمة، وتضمنت ما هو موجود في الشريعة الإسلامية التي جاء به الوحي، ومن هذه الأحكام الشرعية الموجود في الشريعة الإسلامية والتي يمكن أن نستنتجها من منع النبي صلى الله عليه وسلم عنها قبل البعثة وهي تدل بالطبع على تحريمها مثل:

1. عبادة الأصنام والأكل مما ذبح لغير الله والحلف بغير الله.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1420هـ، ج 29، ص 44.61

أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، ج1، ص8. 45

الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام أبو الحسن علي بن أبي علي، عدد الأجزاء: 4، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان، د.ت، ج1، ص 46.169

فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يأت من أمور الجاهلية بشيء فهي محرمة في كل الشرائع السابقة وفي الشريعة الاسلامية أيضا، يروي زيد بن حارثة رضي الله عنه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فيقول: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مردفي إلى نصب من الأنصاب فذبحنا له شاة ووضعناها في التنور حتى إذا نضجت استخرجناها فجعلناها في سفرتنا ثم أقبل صلى الله عليه وسلم يسير.... فأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم البعير الذي كان تحته ثم قدمنا إليه السفرة التي كان فيها الشواء فقال ما هذه فقلنا هذه شاة ذبحناها لنصب كذا وكذا فقال إني لا آكل ما ذبح لغير الله، وكان صنما من نحاس يقال له أساف ونائلة يتمسح به المشركون إذا طافوا فطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفت معه فلما مررت مسحت به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسه قال زيد فطفنا فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يقول فمسحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم تنه قال زيد والذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما استلمت صنما حتى أكرمه الله بالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب[47].

2. التعري والتبذل في اللباس.

فقد صانه الله عما كان عليه بعض الناس في الجاهلية من أمر الجاهلية مثل كشف العورة بل مما كان من أمر الجاهلية أن يحج الناس وهم عراة حتى جاء الإسلام وعلا شأنه وفتحت مكة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بمنع ذلك[48]، وقد حفظ الله عز وجل نبيه قبل البعثة من ذلك، ومن ذلك ما وقع في قصة اشتراك النبي صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة قبل بعثته وفيه:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كان يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ وَعَلَيْهِ إزَارُهُ فقال له الْعَبَّاسُ عَمُّهُ يا بن أَخِي لو حَلَلْتَ إزَارَكَ فَجَعَلْتَ على مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ قال فَحَلَّهُ فَجَعَلَهُ على مَنْكِبَيْهِ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عليه فما رؤي بَعْدَ ذلك عُرْيَانًا [49]".

ومعلوم أن هذه الأمور من معالم الشريعة التي جاء الإسلام ليلغيها ويطهر المجتمع منها، وهي أصل جاء به الشرع الحنيف، وليس فيها حكما شرعيا جديدا.

أما تصور أن يكون فيما ورد قبل البعثة حكما شرعيا جديدا غير موجود في الشريعة فيما نزل بعد البعثة فهذا ينافيه ما أخبر به الشرع من تمام وكمال ما انزله الله من وحي{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} (المائدة: 3) فالآية تدل قطعا على تمام ما أنزل به بعد البعثة.

ولعل الباب الثاني في محل الأهمية التي لا يمكن الاستغناء عنها.

البابا الثاني: يتجاوز الأوصاف الخمسة للحكم الشرعي إلى ما هو أوسع منه كما بينه البحث سابقا، وأن الشريعة تتضمن الأحكام والوسائل والغايات وكل العلوم الموصلة لها، وفي باب أهمية دراسة ما ورد قبل البعثة فقد تبين اعتبار الشرع لها في أبواب مهمة في الدين منها التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وبيان معالم النظرية التربوية في الإسلام، وباعتبار فهم القرآن مقصدا مطلوبا فإن دراسة المرويات التي تحدثت عن النبي قبل البعثة أو تحدثت عن الحاضنة الإنسانية آنذاك مطلوبة شرعا للوصول إلى فهم الأبعاد العلمية لهذه الآيات في كل المجالات المتصورة عقلا من جوانب سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وميدان البحث الشرعي يتعلق هنا بالآيات التي تحدثت عن فترة ما قبل البعثة.

ثانيا: ضوابط الاحتجاج بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم **قبل البعثة.**

إن الضوابط المنهجية لدراسة ما ورد قبل البعثة هي نفسها تلك الضوابط المنهجية التي ذكرت في علم أصول الفقه وما يتصل بها، ويمكن الحديث عن ضوابط عامة فيما يتعلق بدراستها سواء كانت كان مصدرها القرآن أو السنة، ويمكن إجمالها على النحو الآتي:

1- إثبات صحة الرواية وفق القواعد المعروفة في علوم الحديث [50].

إن القاعدة الأهم في دراسة المرويات بشكل عام هي إثبات صحة الرواية وهذه القاعدة معروفة وبدهية، فإن نسبة شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يترتب عليه جوانب عديدة من الاحتجاج سواء كان فقهيا أو تربويا أو ما كان من باب الشمائل أو غيرها من الأبواب.

فالأصل هو التثبت من صحة الروايات ونقدها نقدا شاملا دون إفراط أو تفريط، يقول أبو شهبة: "وليس من البحث العلمي السليم إنكار المرويات جملة، وإنما الطريقة العلمية الصحيحة نقدها من ناحية السند والمتن، فإن لم نجد فيها مطعنا قبلناها، وإلا تركناها، فإذا لم نتبع هذه الطريقة صار الإنكار هوى وشهوة[51]".

إن التثبت من هذه الأخبار في غاية الأهمية فالروايات في مجملها ترسم في مخيلة الأمة صورة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وفي هذه الصور مجال واسع في التأثير في سلوك الناس بصورة خفية أو ظاهرة، ومن هنا وجب التنبه لكتب السيرة التي تقصد جمع الروايات لمجرد الجمع والتوثيق التاريخي للمرويات وبين تلك التي تشترط الصحة، وبين المتساهل منها ومن هو صاحب مذهب يؤثر مذهبه في طريقة جمعه للروايات، فمن هؤلاء من لا يتميز له أدنى منهجية علمية في انتقاء الأخبار، ومن هنا وجب مراجعة علمية لكتب كثيرة ومختصرات تذكر أحاديث ضعيفة وثمة ما هو أقرب للوضع.

والتساهل في نسبة مرويات إلى مقام النبوة غير مقبول، لأن حياة النبي صلى الله عليه وسلم أسوة ويعني ذلك إدخال شيء ليس بثابت أصلا، ويرى الباحث هنا أن غلبة الظن مقبولة في إثبات بعض المرويات وهو ما قام به بالفعل كتاب السيرة عبر تاريخ التأليف بين متشدد ومتساهل، ويمكن هنا أن نجد عدة مناهج وشروط يضعها أصحابها وفق قرائن يمكن الاعتماد عليها حتى لو

---

47. أخرجه: الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ، ج 4، ص 273.

48. أخرجه البخاري، الصحيح، ج1، ص 82.

49. أخرجه البخاري، الصحيح، ج1، ص 82.

50. أبو شُهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص وما بعدها23.

51. المرجع السابق الصفحة، ص 23.

كانت تلك القرآئن خارج الأسانيد، وهنا لا بد من الإشارة إلى قضية "تفاوت المعايير بين المصنفين في الحديث النبوي والمصنفين في السير والتأريخ[52] والفقه[53]" وهي تعود إلى عدة أسباب ولعل السبب الأهم هو مدى افتراض تعلقها بالأحكام الشرعية خاصة تلك التي رويت قبل البعثة فيبدو فيها التساهل.

2- دراسة تلك المرويات في ضوء الآيات القرآنية فلا يمكن قبول رواية تخالف ما جاء به صريح القرآن الكريم، إلا إن كان الجمع محتملا.

وشرط الجمع هنا عدم إلغاء دلالة القرآن، فالجمع بين الأدلة عند اختلافها له قواعده وأصوله[54]، وقد قامت مجموعة من الدراسات التي تتحدث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء القرآن الكريم وهذا دليل على أن ذلك من أهم القواعد النقدية في دراسة مرويات السيرة النبوية قديما وحديثا وقد مر ذكرها في الدراسات السابقة.

وأما الجمع بين النصوص فهي قاعدة عامة في كل المجالات، ومنها دراسات السيرة النبوية، يقول أكرم العمري:" وبالجملة فإن النقاد سعوا منذ وقت مبكر إلى التوفيق بين النصوص التي ظاهرها الاختلاف والتعارض فالجمع بين الروايات الصحيحة والعمل بها أولى من إسقاط بعضها"[55].

3- جمع كامل الأدلة سواء كانت قرآنا أو مرويات في المسألة التي تخضع للدراسة، للخروج بفهم صحيح تدل عليها تلك الروايات.

4- فهم السياقات التي جاءت بها تلك الروايات فهي مهمة في الدلالة الصحيحة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

5- فهم دلالة المفردات التي تضمنتها تلك الروايات سواء دلت على معاني أو أماكن.

ويمكن أن تكون الروايات التي تنسب ولادة النبي صلى الله عليه وسلم فقيرا نموذجا تطبيقا للقواعد النقدية لدراسة المرويات، وهو مثال يتعلق بالباب الثاني أي فيما يتجاوز الوصف الشرعي المجرد على الأحكام إلى ما هو أبعد نحو القدوة والأسوة واكتشاف النظريات التربوية في الشريعة الإسلامية، على النحو الآتي:

الشائع في بعض كتب السيرة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد فقيرا وهذه النسبة شائعة أيضا عند عدد من المستشرقين، ويستدل بذلك بروايات منها على سبيل المثال ما هو متعلق بمرضعة النبي صلى الله عليه وسلم حليمة السعدية، روى الأصبهاني " عن حَلِيمَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ السَّعْدِيَّةِ، أُمِّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّتِي أَرْضَعَتْهُ، قَالَتْ: " أَصَابَتْنَا سَنَةٌ شَهْبَاءُ، لَمْ تُبْقِ لَنَا شَيْئًا، فَخَرَجْتُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ بِمَكَّةَ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمْرَاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا امْرَأَةٌ إِلَّا عُرِضَ عَلَيْهَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَتَأْبَاهُ، وَعُرِضَ عَلَيَّ فَأَبَيْتُهُ، وَذَلِكَ أَنَّ الظُّؤُورَةَ إِنَّمَا كَانُوا يَرْجُونَ الْخَيْرَ مِنْ قِبَلِ الْآبَاءِ، وَيَقُولُونَ: لَا أَبَ لَهُ، وَمَا عَسَى أَنْ تَفْعَلَ أُمُّهُ، فَلَمْ تَبْقَ مِنْهُنَّ امْرَأَةٌ إِلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي، وَحَانَ انْصِرَافُهُنَّ إِلَى بِلَادِهِنَّ، فَقُلْتُ لِزَوْجِي: لَوْ أَخَذْتُ ذَلِكَ الْغُلَامَ الْيَتِيمَ لَكَانَ أَمْثَلَ مِنْ أَنْ أَرْجِعَ بِغَيْرِ رَضِيعٍ، فَأَتَيْتُ أُمَّهُ فَأَخَذْتُهُ،.... "[56].

الحقيقة أن إحجام المرضعات عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس لأنه فقير، بل لأنه يتيم وهو تعبير عن تصورهن أن عمه وجده لن يبذلوا كما يبذل ما لو كان أبوه على قيد الحياة والدليل هو من الرواية نفسها: "وَذَلِكَ أَنَّ الظُّؤُورَةَ إِنَّمَا كَانُوا يَرْجُونَ الْخَيْرَ مِنْ قِبَلِ الْآبَاءِ" وهو مبني على تجربتهن في حالات سابقة.

ومن هنا نجد أن الرجوع إلى دلالة الألفاظ وسياق الرواية وما يحيط بها كفيل بالوصول إلى النتيجة الصحيحة، ولو جمعت تلك الروايات في الحالة الاقتصادية للنبي صلى الله عليه وسلم لبينت خلاف ذلك، وفي رواية أخرى ما يثبت بطلان الادعاء بفقر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما رواه ابن عساكر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيها بيان كرم أعمامه تجاه مرضعته، وما اجزلوا لها من العطاء فيقول: "كان هذا الحي من بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة، فيحضنون أولادهم، وينتفعون بخيرهم...، وكانت فيهن امرأة يقال لها: أم كبشة بنت الحارث، فأخذَتني وألقتني على صدرها، فدرَّ لبنُها، فحضنَتني، فلما بلغ ذلك عمِّي أبا طالب أقطَعَها إبلاً ومقطعات من الثياب، ولم يبقَ عمٌّ من عمومتي إلا أقطعها وكساها[57].

ثم إن وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهو طفل لا يصح من جهة كفالة جده وعمه له وهما كما تذكر الروايات الكثيرة من أهل الغنى والجاه في مكة، روى الأصبهاني عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا طَالِبٍ، يُحَدِّثُ أَنَّ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْبٍ، لَمَّا وَلَدَتْ النبي صلى الله عليه وسلم، جَاءَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَأَخَذَهُ وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: هُوَ وَدِيعَتِي عِنْدَكَ لَيَكُونَنَّ لِابْنِي هَذَا شَأْنٌ، ثُمَّ أَمَرَ فَنُحِرَتِ الْجَزَائِرُ، وَذُبِحَتِ الشَّاءُ، وَأُطْعِمَ أَهْلُ مَكَّةَ ثَلَاثًا، ثُمَّ نُحِرَ فِي كُلِّ شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ جَزُورًا، لَا يُمْنَعُ مِنْهُ إِنْسَانٌ، وَلَا سَبُعٌ، وَلَا طَائِرٌ "[58].

---

[52] وهي قضية أشار الهيا العلماء قديما وحديثا، انظر تفصيلات هذا الموضوع في: الدميني، مسفر بن غرم الله، مرويات السيرة بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، الدميني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د.ت، ص 13 وما بعدها.

[53] للفقهاء معايير خاصة في نقد المتن، وهي تختلف عن معايير نقد المتن عند المحدثين، وهناك اتجاهات نقدية تختلف من مذهب لآخر،ينظر: BEKDEMİR ,Sezayi, TURAN-SAM Uluslararası Bilimsel Hakemli Dergisi,2018, Cilt: 10/KIŞ, Sayı: 37,S39-45.

[54] BEKDEMİR,Sezayi SİslamHukukunda İhtilaflı Deliller. Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD), 1 (1), . (2017), 43-66.

[55] العمري، أكرم ضياء، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، ص 26.

[56] أخرجه: الاصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص: 155، والحديث قال فيه الهيثمي رجاله رجال الثقات، الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994 ، ج8، ص 221.

[57] ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995 ، ج3، ص 467.57

[58] الأصبهاني، دلائل النبوة، ج1، ص138.

وبالرجوع إلى القاعدة الثانية وهي دراسة الروايات في ضوء دلالة القرآن فإن الإشكالية وقعت في فهم قوله تعالى: {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى} [الضحى: 8] فاصبح الفهم السائد اتجاها تفسيريا للآية بدل أن يسمع للقرآن باعتباره مبينا ومؤسسا ومهيمنا، فبينما يرى الكثير أن المقصود بالعائل في الآية هو الفقر وبعضهم يراها نتيجة لكثرة العيال، فإن الآية يجب أن تدرك في ضوء التحقيق الدلالي لكلمة عائلا وفي ضوء تحقيق واستقصاء شامل للروايات والواقع وغيرها من القرائن.

والذي يراه الباحث هنا في معنى "عائلا" أن النبي صلى الله عليه وسلم تحقق له الغنى أي الاستغناء باعتماده على نفسه فالعائل هو المائل كناية عن الاتكاء على غيره احتياجا "فيقال: عَوّل عليه اتكل واعتمد[59]" ، فهو لا يتعلق أيضا باليتم بل المقصود في النظرية التربوية عموما أن من علامة نضوج الشخصية الإنسانية اعتمادها على ذاتها.

وكونه عائلا ليس منشأه اليتم فكل صغير عائل حتى يستقل بذاته سواء كان يتيما أو غير يتيم، فالمعنى هو الاحتياج لغيره، وهو مقيد عقلا بحصول وعيه الذي يمكنه من الاعتماد على نفسه في قراراته وفي سير حياته، وتحقق للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك مبكرا عندما ابتدأ استقلاله عن غيره بتحقيق الكفاية الذاتية والاعتماد على نفسه بالكسب، وهذا يعني استقلالية قراراته، وقد عبر القرآن عن ذلك بالرشد قال تعالى:{وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ } (النساء: 6).

وقد تحقق ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم عندما اشتغل برعي الغنم ثم بعد ذلك بالتجارة، ثم قد وجدت في مجلة هدي الإسلام بحثا قيما في تفسير معنى هذه الآية وهو ينفي أن يكون المعنى له صلة بالفقر، يقول عودة الله منيع في حق النبي صلى الله عليه وسلم "كان في صغره متكلاً على جده ثم عمه، وعائلاً هنا لا تعني فقيراً قطعاً، بل هي مَعُولاً، أي: لديه من يعينه.. ؛ لأن الذي يتكل في إعالته ورعايته على جدٍّ عظيم، ثم عمٍّ عظيم، كلاهما ذا مال، الجد كان غنياً، والعم كان موسراً، لا يصح أن يوصف بأنه فقير البتة"[60].

إن إشكالية نسبة الفقر إلى النبي صلى الله عليه وسلم إشكالية عميقة تصلح أن تكون منطلقا للدراسة الشاملة في مجالات عديدة، علما أن من العلماء من نفى الفقر عنه قديما وحديثا[61]، ولعله يقال أن هذه النسبة ليس لها علاقة بموضوع البحث، والحقيقة أن نسبة الفقر للنبي صلى الله عليه وسلم يؤثر سلبا في رسم صورة الأسوة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الثقافة الإسلامية، ولها آثارها التي يعيشها المسلمون اليوم من تفضيل الفقر على الغنى ويجعلون ذلك من عظم التأسي به.

وإذا ما نظرنا الى أن الاقتصاد جزء لا يتجزأ من المنظومة الايمانية في الشريعة الإسلامية[62] فإن نسبة الفقر الى النبي صلى الله عليه وسلم أصبح لها دلائلها التي يجب أن يتوقف عندها بإمعان ودقة، لأنها تؤثر في تحديد علاقة الاقتصاد بالإيمان والشريعة.

فيما ورثه، وفي الملك والغنى، والسَّعة ρيقول الزحيلي في هذه المسألة:(لقد أغفل الكثيرون الجانب الآخر من سيرة رسول الله ، وكسبِه للرزق والأموال في صباه ومراهقته ρوالعطاء، والكرم والجود، والبذلِ والإنفاق، وأسدلوا السِّتار على موارد النبي وشبابه، ثم تجارته، ثم موارده الخاصة بعد الهجرة والجهاد، وأغفلوا إنفاقَه وعطاءه، وغناه ويُسره، وصدقاته التي وقفها في حياته، وأوصى بنظارتها بعد موته، وأنه كان أجود بالخير من الريح المرسَلة، وأنه أنفق على نفسه مِن كَسْبِ جبينه، ولم يعتمد على غيره، وتكفَّل بمؤنة زواجه، ونفقات زوجاته وأولاده، وعلى ما يحتاجه في شؤون حياته، وعلى هجرته، وعلى مواليه وخدَمه، وعلى المسلمين، بل حتى على المنافقين وغير المسلمين، مما يدلُّ على ثرائه وسَعة ذات يده، وقام بواجب إطعام الضيوف والوفود، وعلى مبيتهم وجوائزهم، وهداياهم، وعلى المؤلَّفة قلوبهم، والإثابة على الهدايا التي تقدَّم إليه من أصحابه وأعدائه والملوك والرؤساء الذين ρتواصلوا معه، فالعاقل يجود مما في يده ومن مُلكِه، ولا يكون كَلاًّ ولا عالةً على غيره، وخاصة من كان في مكانة رسول الله كان يُنفِق من مال غيره"[63].ρومنزلته، ولم يذكر أحدٌ من المؤرخين أن النبي

6- الاعتماد على القواعد الأصولية في استخراج الاستدلال بالأحكام بشيء مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

ويمكن التمثيل بمسألة تحريم المعازف عند من يرى الاستدلال بما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في صيانة الله له بمنعه من حضور مجالس اللهو المحرم قبل البعثة على حكم شرعي جاءت به الشريعة فيما وقع فيه الاختلاف بين التحليل والتحريم، ويصلح المثال هنا في باب الترجيح أيضا كصورة افتراضية متخيلة.

لقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوجه من العناية - وان اختلف في ثبوت هذه الرواية-[64] وهو يحدث عن نفسه فيقول: "ما هممت بما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا مرتين من الدهر كلاهما يعصمني الله تعالى منهما قلت ليلة لفتى كان معي من قريش في أعلى مكة في أغنام لأهلها ترعى أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما تسمر الفتيان قال نعم فخرجت فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمر فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش تزوج امرأة فلهوت بذلك

---

59 جبل، محمد حسن، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، مكتبة الآداب ، القاهرة، الطبعة: الأولى، 2010.، ج3، ص 1510.

60 بتصرف: القيسي، عودة الله منيع، "تفسير قوله تعالى ووجدك عائلا فأغني" مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية. العدد الخامس، تموز، 2006.

61 ينظر تفصيل المسألة وأقوال العلماء قديما وحديثا في مسألة غنى النبي صلى الله عليه وسلم: السمان، عبد الفتاح محمد، السيرة المالية كسبا وانفاقا وتوريثا، دار المعاصر، بيروت2015م ، وأنظر: الفكر Mustafa Özkan, Hz. Muhammed Fakir miydi?, Liberte Yay., Ankara 2016..

62 أشار إلى هذه المسألة وعلاقة النشاط الاقتصادي بالدافع الإيماني وقضايا متصلة بها مستدلا بالآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة ودراسة هذه الجوانب من خلال حياة النبي صلى الله عليه وسلم الاقتصادية بما يثبت جدارته الإقتصادية وسعيه لها ضمن دراسة فلسفية تأصيلية:
Geçit,M.Salih, Ekonomi ve İnanç, Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, Türkiye2009.

63 المرجع السابق: مقدمة الكتاب صفحة x.

64 أخرجه: الحاكم، المستدرك على الصحيحين، ج 4، ص 273، ويرى الألباني أن الحديث ضعيف. الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 2002 ، ص 155.

الغناء والصوت حتى غلبتني عيني فنمت فما أيقظني إلا مس وفي الحديث.. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فو الله ما هممت بعدها أبدا بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله تعالى بنبوته.

فالفرح سنة في الخلق وهو في ذاته ليس محرما، وإنما اذا صاحبها ما يخالف الشرع كاختلاط محرم أو غيره، وهو لا يليق بمقام الإعداد للنبوة وتلقي الوحي، فمنع النبي صلى الله عليه وسلم من اللهو المحرم.

وعلى افتراض صحة الرواية فإن الاستشهاد به على حرمة الموسيقى لا يصح من جهة أن الحديث لا يحمل دليلا على حرمة الموسيقى إنما منع من حضور هذه المجالس لحرمتها بما يخالطها من محرمات، فالرواية لا تحمل بذاتها دليلا على تحريم الموسيقى وبالتالي تعود مسألة الاختلاف في تحريم الموسيقى إلى ما هو معروف من الخلاف القديم في تحريمها وفق الأدلة التي يطرحها كل فريق.

والخلاصة من هذه الضوابط أن المرويات التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هي فو موضع الاحتجاج في مجالات متعددة ، ويجب أن تخضع لضوابط النقد العلمي والتي تحقق منها العلماء قديما وحديثا ضمن ما هو معروف أصالة وجدارة في مناهج النقد في الدراسات الإسلامية عند المحدثين والمحدثين وغيرهم.

خاتمة تتضمن أهم النتائج.

في ختام هذه الورقة البحثية يُمكنُ أن نخلُصَ بالنتائج الآتية:

أولا: حجية ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة تعني أنها معتبرة للاستدلال بها في الشريعة الاسلامية في وجه من الوجوه، وقد نص الوحي صراحة على حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وجعها حجة مطلقة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وخاطب بهذا الاستدلال أهل مكة، ومن بابا أولى أن يكون هذا الخطاب متجها لمن آمن بالشريعة من باب أولى واعتبار ما ورد عنه قبل البعثة في موضع الاحتجاج.

ثانيا: ذكَّر الله نبيه بوجوه رعايته له قبل البعثة وهذا التذكير يقتضي أن الله قد اعتبر حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حجة على النبي وعدها من نعمه وهي من باب أولى أن تكون معتبرة في الأمة، وهي من باب أولى أن تكون محلا للدراسات الدينية في كل المجالات المتصورة من الحياة وهذا جزء من العمل بفرائض الشريعة التي أمر الله بها عباده.

ثالثا: أخبر القرآن أن النبي صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة فلا بد لتحقيق هذه الفريضة أن تكون دراسة حياته شاملة لكل التفصيلات الحياتية له ويدخل في ذلك حياته قبل البعثة، واستخراج جوانب ما أسماه الشرع بالأسوة الحسنة وغيرها من الأوصاف، ولا يعقل أن نُخرج منها حياته قبل البعثة لأنها مليئة بالمواقف المهمة.

رابعا: أن كلمة الحكم الشرعي بالاعتبار القرآني تتجاوز الأوصاف الخمسة فهي شاملة لكل المعارف الإسلامية باعتبار أن الحكم الشرعي يشمل الأحكام نفسها ومقاصدها ووسائلها، ومن هنا فالاعتبار الإلهي لحياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أو بعدها لا يتعلق بالأوصاف الشرعية المجردة بل يتجاوز إلى قضايا غاية في الأهمية مثل الاختيارات التربوية في الشريعة الإسلامية وغيرها.

خامسا: أن دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة غاية في الأهمية في عدة جوانب، منها: فهم دلالة الآيات التي تحدثت عن النبي صلى الله عليه وسلم والبيئة التي عاش فيها، وفهم طبيعة التغيير الشامل الذي صنعه النبي صلى الله عليه وسلم والذي كلفه الله به سواء كان في مكة أو الجزيرة العربية أو العالم.

سادسا: إن دراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة باب عظيم في رد الشبهات عن النبي صلى الله عليه وسلم، باعتبار أن التشكيك بالنبوة كان جزءا منه مبني على دراسة حياة النبي قبل البعثة، ومن هنا كان لزاما على الباحثين الرجوع إلى تلك الفترة لأنها تحمل في طيها ردا مبينا على تلك الشبهات وهو ما قامت به بشكل جلي كثير من الدراسات العلمية.

سابعا: إن شخصية النبي صلى الله عليه وسلم أثبتت حضورا إيجابيا شاملا في الحياة الإنسانية عبر العصور، قبل البعثة وبعدها وهي حاضرة في دراسات المؤرخين وعلماء التربية والسياسة وغيرهم حتى وقتنا الراهن، وما زالت شاهدا حيا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصدق رسالة الإسلام، ولا بد من دراستها والاهتمام بها في كل المجالات العلمية والعملية المتصورة وفق منهج علمي دقيق.

ثامنا: إن الدراسات الإسلامية قد تناولت حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بصورة أو بأخرى، وخاصة في دراسات السيرة النبوية فلا يخلو كتاب من كتب السيرة إلا ويتناول حياة النبي قبل البعثة وحال العرب قبل الإسلام، وهذا يدل دلالة عملية على أهمية الدراسات البحثية عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة.

تاسعا: لا بد من دراسة المرويات الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ضمن الضوابط المنهجية التي عرفها النقاد وطبقوها على المرويات، وضمن الضوابط المنهجية التي ذكرت في علم أصول الفقه وما يتصل بها، ومنها ضرورة عرض الروايات على القرآن الكريم وجمع كل المرويات في المسألة الواحدة، وفهم الدلالة اللغوية والسياق التاريخي للروايات.

عاشرا: تمثل مظاهر الرعاية الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وما ورد عنه منهجا متكاملا متعدد الجوانب والمستويات ولهذه المظاهر دلالات عظيمة في وتمثل قدوة للفرد والأمة ضوء العلوم النفسية والتربوية وغيرها

المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية:

1- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1420هـ.

2- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1995 م.

3- ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل: بيروت، 1411 هـ.

4- أبو حبيب، سعدي القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق، 1988 م.

5- أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثامنة، 1427 هـ.

6- أبو منصور، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة: الأولى، 2001.

7- الاصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، 1986.

8- الألباني، محمد ناصر الدين، ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، 2002.

9- الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام أبو الحسن علي بن أبي علي، عدد الأجزاء: 4، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق- لبنان، د.ت.

10- البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبدالله الجعفي، تحقيق محمد زهير بن ناصر ، دار طوق النجاة ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422ه.

11- الترمذي، محمد بن عيسى الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، تحقيق: سيد بن عباس الجليمي، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز- مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، 1993.

12- الجويني عبد الملك بن عبد الله، البرهان في أصول الفقه، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997.

13- الحاكم، محمد بن عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411ه.

14- حسن الشيخ خضر، قالوا في الإسلام، دار الكتاب العربي: القاهرة الطبعة الثانية، د.ت.

15- خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر، عن الطبعة الثامنة لدار القلم، د.ت.

16- الدميني، مسفر بن غرم الله، مرويات السيرة بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، الدميني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د.ت.

17- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب "التفسير الكبير"، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.

18- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، 1988.

19- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د.ت.

20- السمان، عبد الفتاح محمد، السيرة المالية كسبا وانفاقا وتوريثا، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، 2015 .

21- السيوطي، الخصائص الكبرى جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الكتب العلمية ، بيروت، د.ت.

22- الشامي، محمد بن يوسف الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1993.

23- الصنعاني، محمد بن إسماعيل، بحوث في مصطلح الحديث، تحقيق: محمد عويضة، دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى1997.

24- الضيدان، محمد ضيدان، تقدير الذات وأثره وعلاقته بالسلوك، الحميدي، رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 1424ه.

25- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.

26- الظالمي، حسن الشيخ خضر، قالوا في الإسلام، دار الكتاب العربي: القاهرة الطبعة الثانية، د.ت.

27- علاء الدين، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، دار الكتاب الإسلامي، د.ت.

28- العمري، أكرم ضياء، مرويات السيرة النبوية بين قواعد المحدثين وروايات الإخباريين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، د. ت.

29- عيسى، محمد رفقي، الدافعية دراسة نقدية مع نموذج مقترح، بحث المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية. بحوث المؤتمر الرابع للفكر الإسلامي، سلسلة المنهجية الإسلامية 2، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط2 ، 1994م.

30- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

31- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1964.

32- القزويني، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979.

33- القطان، مناع، التشريع والفقه في الإسلام تاريخاً ومنهجاً، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 5، 2001.

34- القيسي، عودة الله منيع، "تفسير قوله تعالى ووجدك عائلا فأغني" مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية. العدد الخامس، تموز، 2006.

35- الماتريدي، محمد بن محمد، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 2005 .

36- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت.

37- معابده، يحيى زكريا، الرعاية الإلهية للنبي ودورها في نجاح الدعوة الإسلامية"، مؤتمر السيرة النبوية ودورها في بناء الشخصية الإسلامية المعاصرة"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، 2011.

38- مونتجمري وات، محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، القاهرة: المكتبة المصرية، د. ت.

39- النجار، النجار، مسعد احمد، نحو نظرية إسلامية في الشخصية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 1416هـ.

40- الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994.

ثانيا: المراجع باللغة التركية:

Bekdemir , Sezayi, TURAN-SAM Uluslararası Bilimsel Hakemli Dergisi, 2018, Cilt: 10/KIŞ, Sayı: 37.

Bekdemir, Sezayi İslam Hukukunda İhtilaflı Deliller. Ağrı İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD), 1 (1), (2017).

Demil, Emine, Hz. Peygamber'in Risâlet Öncesi Hayatına Dair Rivayetler, (Yayımlanmamış Doktora Tezi), Ankara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Ankara 2016.

Dindi Korkut Siyer - Kur'an İlişkisi (Mekke Dönemi) Yayımlanmamış Doktora Tezi, Atatürk Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Erzurum , 2017.

Erul, Bünyamin, Siret Tedkikleri, Otto Yayınları., Ankara 2017.

Geçit, M. Salih, Ekonomi ve İnanç, Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları, Ankara 2009.

Balcı, İsrafil, Peygamberlik Öncesi Hz. Muhammed, Ankara Okulu Yay., Ankara 2014.

MAABDEH, YAHYA, الرعاية والإعداد الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ودورهما في نجاح الدعوة الإسلامية, Ağrı. İslâmi İlimler Dergisi (AGİİD),2017 ,1(1).

Özkan, Mustafa, Hz. Muhammed Fakir miydi?, Liberte Yay., Ankara 2016.

Safa, Mustafa. (2015). Hz. Peygamber Döneminde Medine'nin Sosyal Yapısı. Ankara: Araştırma Yayınları.

Uyar, Gülgün, Hz. Muhammed'in Risâlet Öncesi Hayatına Dair Bazı Rivâyet Farklarının Tespiti, (Yayımlanmamış Yüksek Lisans Tezi), Marmara Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, İstanbul 1993.